الدكتور جمال الأتاسي

الإشتراكيــــة
بين ماضيها ومستقبلها



منشورات الطليعـة 1989

البعث والاشتراكية - الكتابات الأولى

14

في سبيل مجتمع عربي موحّد حُرّ و ديمقراطي



الإشتراكية بين ماضيها ومستقبلها

للدكتور جمال الاتاسي

عندما نقول بالاشتراكية لا نطمع ان نضيف نظرية جديدة الى مجموع ما ورد من نظريات اشتراكية منذ قرن ويزيد ، بل كل قصدنا ان نثير مجموع المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والانسانية التي طرحتها وتطرحها الاشتراكية في العالم ، وان ننظر اليها من خلال ظروفنا التاريخية وأحوالنا الاجتماعية ومن خلال تجربتنا الانسانية ، لنصل من ذلك كله ، الى توضيح طريقنا الخاص والى رسم الخطوات العملية التي تسير بنا في هذا الطريق، لنجعل من قضية الاشتراكية قضية العرب في تحررهم ووحدتهم وفي بناء المجتمع العربي الجديد على أسس راسخة من الحق والعدالة والمشاركة الانسانية .

و « البعث » وان لم يبتكر لنفسه نظرية اشتراكية كملة تحدد وجهة التاريخ وفلسفته ، ورسم تفاصيل المجتمع المقبل وشريعته ، فهو قد قام منذ قام على نظرة اشتراكية أصيلة ، ان اقتصرت في بدئها على خطوط نظرية مبدئية عامة فهي تتوضح في كل يوم وتتغنى بعلاقاتها ومواجهتها بالافكار والاتجاهات الأخرى ، كما تتضح أيضاً معالمها وتأخذ محتواها وبنيتها بتفتح الوعي العربي وبتطور النضال الشعبي .

واتجاه « البعث » الاشتراكي لم يلصق بحزب البعث اصطناعاً ، كما لم يأت رد فعل لوجود احزاب واتجاهات وافكار اشتراكية رائجة في بلاد العرب ، شأن الجماعات والاحزاب التي تتسمى اليوم بالاشتراكية أو تنادي بها ، بل كان « البعث » أول حزب عربي قال بالقومية والاشتراكية والانقلابية وجعل منها دستوراً له في سياسته وتنظيمه ، وطرح شعاراتها على الشعب خلال الحرب العالمية الماضية ، وكنا نقول منذ ذلك الحين بأن النظام الاشتراكي للمجتمع العربي انما يستمد من ظروف العرب التاريخية ومن خصائص ومقومات مجتمعنا العربي ومن تجربتنا الانسانية ، بينما كانت الشيوعية في بلادنا ، تنكر كل امكانية لقيام حركات اشتراكية ثورية مستقلة عن الشيوعية العالمية في نظرتها وتجربتها .

ولكن اختلافنا المبدئي عن الشيوعية وعن الاحزاب

الاشتراكية الغربية المشتقة من الشيوعية ، هذا الاختلاف الذي سيوضح كل موضوع من المواضيع الاشتراكيـــة والقومية المطروحة اليوم على بساط البحث في العالم وفي بلاد العرب ، والفارق الكبير بيننا وبين الشيوعية في النشأة والنظرة والحلول ، كل ذلك لا يعني رفض كل ما قالت به النظرية الشيوعية وانكار كل قيمة ايجابية لهذه النظرية ، والشيوعية عدا ما طرحته من مسائل وعرضته من أفكار تختلف في قيمتها وصحتها ، وعدا مساهمتها الفعالة في ايقاظ وتحريض الكثير من القوى النضالية في العالم ضـد الاستعمار ، فانها قدمت لنا نماذج حية ماثلة أمامنا ، سواء في نجاحاتها أو في عبراتها ، في كل ما حققته من تطبيقات للاشتراكية في عدد من البلاد التي تحمل اليوم هذا الاسم .

وعلينا نحن ان نفيد من هذه التجارب ، وحتى من العثرات والاخطاء ، فالحكم الاشتراكي الذي قام حـتى اليوم في عدد من بلدان العالم لا نسميه اشتراكياً الا في محاولته وارادته للسير في هذه الوجهة ، ولا نراه اشتراكياً الا في وجه من أوجه تحققه الاقتصادي ، لانه لم ينجح بعد أو ما زال بعيداً عن تحقيق الثورة الاشتراكية الحقيقية التي تحرر الانسان ، كل انسان ، وتبدل جوهر العلاقات بين الناس وتغير رابطة الانسان بالآخرين وبالمادة والاشياء.

وفي الميراث الفكري الانساني يبقى للماركسية قيمتها

الكبرى في تاريخ النظريات والافكار الاشتراكية، كمحاولة علمية جريئة في دراسة التطور التاريخي والاجتماعي، وفي نبذ المجتمع الرأسمالي الغربي، وكتطلع انساني يريد تحرير الانسان من الظلم والاستثمار، ولكن الافكار التي جاء بها ماركس هي من بنات القرن الماضي، والعالم قد تغير وتبدل من بعد ماركس، وليس كما قررت وحكمت الماركسية، والماركسية تدور اليوم على نفسها في الغرب تفتش عن تلاؤم جديد ومخرج لها. والأمم التي تستيقظ وتنهض وتثور في الشرق تدخل عوامل جديدة كبرى في تاريخ التطور الانساني وتستبق الغرب في طريق الاشتراكية، فهل لنا اذن ان نقف عند ما جاءت به الماركسية أو غير الماركسية ؟

لسنا هنا في معرض نقد النظرية الماركسية والنظام الشيوعي وما أديا اليه من مذهبية صلبة تنكشف اليوم فواجعها للعالم ولكننا نريد الوصول الى توضيح فكرة أساسية بالنسبة الينا، وهي اعتقادنا بأن الاشتراكية، كل اشتراكية، لم تعد من الماضي ويجب أن تحطم أطواق الماضي، فالاشتراكية الثورية لم تأخذ بعد شكلها الصحيح السليم وهي ما زالت تلقي بكل صورها واهدافها للمستقبل، وان كل ما تحقق من تجارب انسانية ليس الا تجارب يجب ان نستفيد منها لفهم أوضاعنا ولتخير طريقنا الخاص بنا كعرب ولتجنب كل ما يعرض هذا الاتجاه للتوقف والانحراف

أو للانغلاق على نفسه والتحول الى مذهبية ضيقة .

عندما حاول «هاليفي» في دراساته عن الاشتراكية ان يضع تعريفاً دقيقاً للاشتراكية ، بين شتات النظريات القائلة بها والحركات السياسية التي سارت على نهجها والثورات التي قامت باسمها والتحققات العملية التي قالت انها ستوصل اليها ، لم يزد هذا الكاتب على ان قال: الاشتراكية هي كل تاريخ الافكار والحركات الاشتراكية منذ وجدت كلمة الاشتراكية ، أي منذ مطلع القرن الماضي ، حتى اليوم . فهي اتجاه الانسانية الجديد ، بل اتجاه الانسان المناضل للانعتاق من الظروف الخارجية (الاقتصاديةخاصة) التي تستبد بحياته وتعطل الكثير من امكانياته وتلحقه بالمادة والآلة وتضيعه فيها . وهي تبديل لنوع العلاقات بين الناس ، والعلاقات تقوم اليوم على الفوارق الطبيعية وعلى المنفعة والاستثمار والتنافس المادي ، لتجعل منها روابط في الاخاء والتعاون والتضامن .

واذا كانت الاشتراكية انسانية تضع الانسان هدفاً لها أي ترمي الى تحرير الانسان من كل ظلم واستثمار والارتفاع بقيمة الانسان وكرامته وفسح كل المجالات أمام تفتح ذكائه ونشاطه ، فهي أيضاً لا ترى الانسان الا في المجتمع والتاريخ ولا تضعه الا في شروطه الطبيعية الواقعية التي يعيشها ، ولا تحرض وتستغل الا القوى الموجودة في هذا المجتمع . فالاشتراكية نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي

أي يحمل مفهوم دولة جديدة ، فهي تطرح كل المسائل التي تعالجها مثل هذه الدولة في التوجيه وفي التنظيم لشتى نواحي الحياة ولكل أنواع النشاط الانساني فيها .

واذا نظرنا للاشتراكية من الوجهة الاقتصادية ، وجدناها تقوم على اجراء تبديلات جذرية في نظام ملكية وسائل الانتاج بما فيها الأرض وفي تنظيم العمل وتوزيع الانتاج فهي تطالب باقتصاد يختلف جوهرياً عن الاقتصاد القائم على رأس المال ، أي على المزاحمة والاستثمار ، فالاشتراكية هنا انقلابية كما هي في أي مجال آخر ، تقوم على قلب النظام القائم لتقيم نظاماً جديداً يستند إلى أولية العمل الانساني. وللعمل الانساني في النظام الاشتراكي غاية مزدوجة ، فهو يقوم على تبديل العالم بسيطرة الانسان العامل على الطبيعة وعلى قوى الانتاج ، كما يقوم باضفاء طابع انساني على الطبيعة وجعلها اداة للسلم والرفاه وخير المجموع .فالاشتراكية هنا تحرير للانسان من سيطرة الاشياء وتحرير له في تأمين مطاليبه وحاجاته ، فهي تجهد لجعل المجتمع كله في المستوى الانساني الكريم العادل .

واذا نظرنا للاشتراكية من وجهة نظام الدولة فان السيادة الاقتصادية لايدي العاملين المنتجين هي طريق سيادتهم السياسية أيضاً ، فالمواطنون العاملون المنتجون هم الارادة العامة للدولة الاشتراكية .

والاشتراكية كما انها ضد استبداد الفرد والطبقة وضد

الاستثمار ، فهي أيضاً ضد استبداد الدوله وطغيانها ، فهي نظام انساني والانسان هو الاساس الذي يقوم عليه بنـــاء المجتمع الاشتراكي ، والانسان لا كفردية وانانية بـــل كحرية وكرامة وابداع . فهي اذ تقوم على المساواة الفعلية ، لا النظرية ، وعلى تكافؤ الفرص لجميع الناس فهي ترتقي بكل المجتمع بافادتها من امكانيات كل أفراده كما تفسح الطريق رحباً أمام العمل الانساني المبدع يحفزه حق الانسان في ان يأخذ من المجتمع مثل ما يعطي .

اننا لم نعط في كل ما اسلفنا الا لمحات خاطفة عن الوجهة الاشتراكية التي نأخذ بها ، وليس بمقدورنا في مثل هذا البحث المقتضب ان نحيط بالاشتراكية في أفكارهـــا ومصادرها وتطبيقاتها ، فالاشتراكية كما ألمحناليست مشاركة في الطعام واللباس والمال والارباح وليست نظرية فـــي الرحمة والاحسان كما لا تتوقف عند تحديد ملكيةأو توزيع أرض أو فرض ضريبة تصاعدية ، ولا تتوقف على سن قانون لحماية الفلاح والعامل ولا على تأميم مصالح ومرافق ذات نفع عام من طبابة وشركات وخطوط مواصلات . الى غير ذلك من الحلول والاصلاحات ، فالاشتراكية أكثر من ذلك ، وهي قد تجاوزت بنظريتها كل هذه الخطوات.

الاشتراكية تعني بالنسبة الينا ، المجتمع العربي الحديث على أسس ثابتة من الوحدة والعدالة والحرية ضمن مفهوم انساني علمي حديث وفي ظل حكم شعبي ديمقراطـــي

سليم . وهكذا فالاشتراكية تعطينا مفهوماً في الدولة العربية الحديثة وفي حقيقة تطور التاريخ الانساني ، تعطينا طرائق ومبادىء في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي ، في توزيع الارض وتنظيم العمل وفي تحضير المجتمع وتصنيعه ، كما تعطينا وجهة في تنظيم العلاقات بين الافراد في المجتمع وبين الافراد والدولة ، والاشتراكية قبل كل هذا اسلوب في العمل الشعبي وخلق في النضال السياسي .

والاشتراكية لم تعد دعوة بعض المفكرين والفلاسفة والمصلحين والاخلاقيين ، فهي لم تعد نظرية وتأملات ، بل أصبحت حقيقة راهنة تسير على مبادئها ونهجها مجتمعات ويناضل في سبيلها الملايين من البشر .

ونحن العرب من ضمن هذه المجموعات البشرية التي تستيقظ اليوم الى نداءات التحرر والعدالة والحق ، ولكننا عرب ولنا أوضاعنا ومشاكلنا الخاصة التي تملي علينا طريقتنا وخطتنا الاشتراكية الخاصة ، ولكننا نعيش أيضاً اليوم . وفي هذا العصر ، لا بد من الاستجابة لضروراته الحيوية ومفاهيمه الانسانية .

على هذه الاسس نادي دائماً باشتراكية عربية . واذا كانت هذه التسمية لنظرتنا الاجتماعية ، بالاشتراكية العربية توجه الى الفكرة الاساسية التي يقوم عليها « حزب البعث الاشتراكي » وهي فكرة القومية العربية . فالاشتراكية

بهذه القومية العربية لا تعني مذهباً عربياً جديداً مبتكراً للاشتراكية . والاشتراكية في أساسها انسانية ، أي تتطلع الى الانسانية في كل انسان وتتناولها في كل ما هو عام مشترك بين الناس فهنالك الظلم والاستثمار من جهة ، وهناك الجهد والعمل من جهة ثانية . والاشتراكية رسالة العاملين والمظلومين ، ولكن هذا الانسان المظلوم المستثمَر ، هذا الانسان الكادح ، هذا الانسان الثائر والمطالب بحريته الانسانية ، انما هو انسان قومي مشروط بظروف مجتمعه ونشأته فهو يعيش في مجتمع معين ومشروط بظروف معينة من تاريخ هذا المجتمع برغم كل ما يحيطه من ظروف انسانية وحضارية عامة . والانسان العربي ليس انساناً مجرداً مطلقاً. بل هو كائن تحيط به ظروف أمته بكل شروطها واعبائها وهو عندما يثور ويتمرد وعندما يتطلع لنظام اجتماعي عادل ، فهو لا يراه الا من خلال وجوده كعربي.

فالاشتراكية اذن ، هي في أساسها انسانية ، وهي بوجهها الواقعي بالنسبة الينا ، انسانية عربية ، اذ لا وجود عملياً لذلك الانسان المجرد عن البيئة والتاريخ . وعندما نقول باشتراكية عربية ، لا نعني نظرية عربية للاشتراكية ولا نعني اننا نقدم ابتكاراً وخلقاً جديداً يخالف ما سواه في الفكر والتطبيق والاهداف (فللاشتراكية تراث انساني مشترك في التفكير وفي النضال الانساني) بل كل ما نعنيه

هو ان هذه المبادىء والاهداف الانسانية العامة ، يجب ان تتجسد في المجتمع العربي وفي مؤسساته الاجتماعيـــة والاقتصادية ويجب ان تصبح تعبيراً عن وجهة العرب الانسانية في نهضتهم.

١٩٥٦

الاشتراكية تتحرر بالنضال

جمال الاتاسي

بعد الاضرابات العمالية التي وقعت في عدد من بلاد اسبانيا عام ١٩٥١ ، حكمت المحاكم الخاصة التي تشكلت بأمر الدكتاتور فرانكو في مدينتي اشبيلية وبرشلونه ، على احد عشر عاملاً من السجناء بالموت رمياً بالرصاص بتهمة التخريب والتآمر على النظام . أما العامل الثاني عشر فقد استحق عقوبة الموت ايضاً بنظر أولئك الحاكمين بأمـــر الدكتاتور . ولكنه فتى في السادسة عشرة من عمره ، وحتى قوانين اسبانيا لا تسمح بأن يقتل رسمياً من لم يبلغ سن الرشاد . فأعيد الغلام الى سجنه ليتم الثامنة عشرة وعندئذ يستطيعون اعدامه ضمن الشروط والقوانين المرعية .

وقد لبث فتانا في سجنه يحصي أيامه وينتظر نهايتــــه المحتومة ورصاص جند الطاغية . كل شيء في حياة هذا الثوري الصغير قد تحدد وتعين من قبل ، وكل شيء مرسوم اليوم ومقدر ، حتى النور والهواء والغذاء كلهـــا تأتيه في مواقيتها وبمقدار .. ظروف كثيرة أحاطت بالسجين وبقي لكل هذه الظروف ان تتبدل لتبدل ما يعانيه الفتى .

ولكن ، وكما أبقى له السجان كوة يتطلع منها الى السماء قد بقي في نفسه أيضاً فسحة من الأمل والرجاء ، هـــو كل ما بقي له من رابطة بأخوانه الذين كانوا يشاركونـه نضاله ويشاركونه الجهد والعناء . وبكل أبناء شعبه الذين يعيشون خارجاً في ذلك السجن الكبير .

الحرية كلمة صغيرة لأمل كبير تلقنه السجين وهو طالب صغير وهتف به في المظاهرة وقرأه في المنشورات السريـة التي شارك بتوزيعها . وبهذا الأمل وقف شامخ الرأس في وجه حكامه .

بقي له رابطة التضامن الانساني ، رابطته بكل أبناء الجهد والعناء من شعب بلاده . فالمظلومون هناك وفي كل مكان كثرة كبيرة ، ولكنها كثرة لم تدرك بعد مدى قوتها ولم توحد ارادتها ونضالها .

ظل الفتى في زنزانته ، يقبض نفسه اليأس حيناً ويطل عليه أمله حيناً . لم يكن أمله بعغو الطاغية وحلم الحكام ولا بموت الدكتاتور وصعود غيره . انه لا يحلم بانتخاب

رئيس كبير أو مجلس خطير لتنفتح من بعد ذلك للبعض أبواب السجون وتخفف عبء بعض الاحكام عن غيرهم ، لقد علمته الحياة وقسوتها ان يكون واقعياً فهو لا يحلم بزواج ملك أو أمير يحل عطفه على الرعية فيطلق السجناء الجائعين .. قد نسي الغلام من زمان طويل حكايات الطفولة السعيدة ، هذه الحكايات خلقت لابناء الطبقات المترفة ممن تستمر طفولتهم طويلاً ولا يبلغون سن الرشاد .. أما فتانا فقد ودع باكراً طفولته بل لم تكن له طفولة ، وبدأ حياة الجهد والكفاح لكسب عيشه . لقد أفاق على الحياة حتى كأنه رجل ، انه راشد ومسؤول فلم يرجيء القضاة اصدار حكمهم ؟

هذه قصة فتانا ، العامل الثائر الانسان ، ليس له من أمل في شيء أو أحد ممن ذكرنا لا في شخص ولا في حكم ولا في عدالة الآخرين .. أمل بكل أبناء شعبه ، أمله بكل الكادحين والمظلومين ، أمله بوعيهم وتضامنهم وبالثورة على الطاغية والاطاحة بكل حكم الظلم والطغيان .

واقعنا الاجتماعي

لا ندري ماذا حل بذلك الفتى وأمثاله ما زالوا كثرة هناك ينتظرون

ذلك سجين تحيط به ظروف سجنه التي تحدد وجوده وحياته ، وقصته تحكي حكاية الظلم في كل زمان ومكان

ولكنه مظلوم في بلاده ولا يحرره ويحرر كل المظلومين هناك ، الا تبديل ظروف أمتهم وتحرير شعب بلادهم .

وفي بلادنا العربية ملايين من المواطنين ، من العمال والفلاحين والمظلومين والمستثمرين ، تقيدهم أيضاً وتستبد بمصائرهم مجموعة من الظروف الاجتماعية السيئة ، ظروف التأخر والاقطاع والاستثمار والتجزئة والاستعمار والرجعية فهم أيضاً سجناء هذه الظروف التي تتحكم بمصيرهم وتقيد حياتهم وتحجز امكانياتهم وتحط من قيمتهم الانسانية.

ملايين من الفقراء والكادحين تستبد بهم ظروف نشأتهم فتحمل لهم ميراث الجهل والشقاء وقلة قليلة بالنسبة اليهم أولئك الذين خصهم المجتمع بامتيازاته وبكل ميراثه من الرفاه والثروة والنفوذ .

ولكن ما الذي أدخل هذا التفاضل والتمايز الاجتماعي هل هو النشاط الانساني والكفاءات ، أم الخلق والذكاء.. أم ان التفاضل جاء وراثة كسواد الشعر وزرقة العيون ؟

كل الناس يولدون لهذا العالم عارين الا من لون جلودهم يأتون العالم وكلهم امكانيات متطلعة مفتوحة على المستقبل. ولكن مجتمعنا الرجعي لم يأت ليربي امكانيات كل الناس وليتيح لهم فرصاً متكافئة في النشأة والتربية والتعليم وتوزيع العمل .. بل جاء ليخلق منه منذ النشأة الأولى التمايز والتفريق فكسا ذلك الوليد من حلله وابقى الآخر في أطماره وأورث كل انسان ظروفاً مادية واجتماعية خاصة

تعين الى حد كبير وجهة هذا الانسان ومصيره .

فهل يستطيع ابن الفلاح الا أن يكون فلاحاً أو أجيراً كادحاً ، وابن العامل الفقير الذي يجهد يومه وكل همه تحصيل القوت ، هل يستطيع الا ان يكون فقيراً عاملاً ؟

هناك بعض حالات استثنائية ، لابن فلاح أو لابن عامل أسعفته الظروف ، فأوصله جهده لشيء من تغيير شروط حياته أو تبديل وضعه الاجتماعي وحتى للاثراء والرفاه ولكنها تظل حالات استثنائية تناقض الوضع العام ولا تعبر عنـــه .

ان لذكاء الانسان وجهده ، الاثر الكبير في رســـم خطوط حياته وفي توجيهه لكسب الرزق واختيار العمل ولكن مجتمعنا قد سد أكثر السبل في وجه ذكاء وامكانيات الطبقات الفقيرة ، فحرم الكثرة الكبيرة من أبناء الشعب حتى حرية التصرف بأنفسهم وبمصائرهم كما حرم الأمـــة من كثير من امكانيات ابنائها التي تظل مكبوتة مجهولة .

عبودية الارض والالة

ينشط ابن الشعب ويجهد ويعاني ، ولكن للآخرين الأرض والمال . والمال يأتي بالمال ولو لم يكلف صاحبـه نفسه الا عناء عده . والارض لمالكها وجل خيراتها لـــه وليس للعامل فيها الا الجزء اليسير من مواردها .

والفلاح العامل في الارض ليس يملك شيئاً من هذه

الارض ومن حرية التصرف بخيراتها ، تستعبده تلك الأرض فهو ملحق بها بل وآلة من الآلات التي تجعل الأرض خصبة ومنتجة للآخرين .

والعامل في المصنع عبد للآلة ، ملحق بها ، فهي ملك غيره ممن يستثمرونه مع الآلة . وهذا العامل أو ذاك الفلاح قد أضاع حريته وأضاع الكثير من انسانيته ، منذ أصبح شيئاً ملحقاً بالانتاج . فللمالك من ماله وارضه قوة لا يعدلها جهد الكادحين .

والمجتمع الرجعي تحصن بكل وسائل التضليل والخرافة ، لينسى المظلومون نشأتهم الأولى (نشأة الحرية والامكانيات المطلقة) ، ولينسيهم روابطهم الانسانية وكرامتهم وليوهم الفقير المستذل ، بأن فقره « مقسوم له » كما ان الوجاهة والثروة « مقسومة لغيره » . ولكن من الذي أوجد هذه القسمة ؟

انها لم تهبط من السماء ، فالانسان وحده هو الذي يظلم الانسان ويستعبده ويحجز حريته .

ان الوضع الاجتماعي في بلادنا والحكم والسياسة وحتى التعليم والتوجيه كل ذلك يقوم على هذا النوع من التقسيم ومن التوزيع السيء للظالم الموجه لمصلحة فئة من المستثمرين وطبقة من أصحاب السيادة والسيطرة الاجتماعية . هو نظام رجعي كامل تستفيد من رجعيته وجموده أقلية من أصحاب الامتيازات الاجتماعية هي التي تحكم وتشرع وتسن القوانين

لصالحها ولضمان استمرار نفوذها وسلطانها :

الاشتراكية تحرير للانسان

سنوات وسنوات مرت على هذا النظام كادت تنسي الانسان المظلوم أسباب ظلمه وتأخره ، حتى جعله يتصور بأن ليس بمقدوره ان يكون الا ما هو عليه ، وليرى الفوارق الطبيعية والتمايز المادي والاجتماعي شيئاً طبيعياً في حيـــاة الانسان على هذه الارض الجامدة ، وان لا عدالة الا في السماء .

ولكن نوراً من الوعي الانساني يأتي اليوم ليفتح عينيه على حقيقة الصراع الاجتماعي ، وتطوراً في فهمه للظروف الانسانية وللتضامن الانساني يفتح أمامه سبلاً للتمرد والعمل والنضال انه ضعيف مقهور ولكن بامكانه ان يصبح قوياً قادراً بضم جهود كل الضعفاء والمظلومين .

هذا هو الوجه الأول للاشتراكية انها قضية قبل ان تكون فلسفة ونظرية لم يبتكرها أحد ولم يخلقها عبقري ، انها من جهد الانسان وعنائه ومن وعيه لظروفه الانسانيـة وللاضطراب الاجتماعي وسوء التوزيع الاقتصادي وكل ما يحصره ويقيده ويتسبب بشقائه واضطهاده . هي مطلب في التحرر ، تحرر الفلاح من عبودية الارض والعامل من عبودية الآلة وتحرير كل مستعبد من قيود الظلم والخرافة والاستثمار .

فأول ما تعنيه الاشتراكية تحرير الانسان ، تحريره من

الظروف الخارجية (عبودية الاقتصاد) التي تقيده ، وتحريره من العجز والاستسلام والكسل ومن كل أوهامه الداخلية فهي تحرير كلي للانسان الكلي .

النظام القائم غير انساني ، مادي يقوم على المصالح الخاصة وعلى الجشع والاستثمار ، ويجب ان يهدم ويزول ليقوم مقامه نظام اشتراكي في تنظيم وتوزيع العمل والانتاج وفي تنظيم المبادلة والاستهلاك . من كل حسب طاقته وما هو أهل له ، ولكل حسب كفاءته ونشاطه ، ليقيم العدالة ليس فقط بين موارد الناس وفي توزيع الاعمال بل وفي حياة الانسان وفي نفسه واخلاقه ، ينظم السلطة في المجتمع سياسياً وصناعياً وتربوياً حتى لا تنشأ أية عبودية جديدة أو تقيد في أي مجال .

الوجه النضالي للاشتراكية

لا نريد بحث نظرتنا الاشتراكية بل عرض وجهها البسيط المباشر ، وهو الوجه الشعبي للاشتراكية وتعبيرها أولاً وضمانتها الاساسية ، وهو وجهها النضالي : استنادها الى القاعدة الشعبية والى نضال أبناء الطبقات الشعبيةوتضامنهم لتكون دائماً تعبيراً عن مطاليبهم ،فهي مستمدةمن حاجات الشعب ويدعمها نضاله ووعيه .

وان دور النظرية والفكرة في هذه المرحلة الاولى من

الوعي الاشتراكي ، هو ايقاظ هذا النضال وتقويته واذكاؤه واذا كانت الاشتراكية تعني الوحدة والحرية وتضامن أبناء المجتمع وتعاونهم فهي لن تصل الى غايتها الا اذا بدأت من الانقسام والتفرق والتعارض بين أبناء المجتمع وطبقاته .

انقسام بين الظالمين والمظلومين ، بين متنفذين من اقطاعيين ومستثمرين ومتعلقين بالنظام الرجعي القائم ، وبين أبنـــاء الشعب من فلاحين وعمال ومثقفين ربطوا مصيرهم بمصير الشعب ، انقسام له ثقله وكثافته المادية والطبقية ، كما له حدوده الاخلاقية والفكرية ، فهو انقسام بين عقليتين ونفسيتين ، عقلية محافظة ونفسية مغلقة مرتبطتين بالنظام الرجعي القائم وعقلية انقلابية ونفسية منطلقة ، كل اهدافها هي الثورة على هذا النظام وتغييره .

واذا لم يكن كل مناضل فقيراً وكادحاً ، فليس كل المظلومين يناضلون ضد الظلم أو يدركون أسباب ظلمهم وطريق تحررهم ، وان مهمتنا ان نوقظ وعي الشعب على حقيقة هذا الانقسام وعلى تكوين هذا الخط الفاصل العميق بين الطبقة المتنفذة المسيطرة وبين الطبقات الشعبية العاملة .

ولكن الطبقة المسيطرة لم تعدم بعد كل وسائلها لمقاومة هذا التكتل الشعبي الواعي ضدها . فهي تحاول كبت هذا الانقسام وتغطيته بدعوات مصطنعة للوحدة والتضامن تحت شعار وحدة الامة والكيان القومي . فالفئات المتنفذة لم تعد تجرؤ اليوم على التمادي في التضليل الى حد اعتبار

النظام القائم ، نظاماً طبيعياً وسليماً ، وكثيراً ما تدعي ان مهمتها هي تبديله وتحقيق نوع من العدل ، ولكن خداعها وتضليلها ينصرف اليوم الى الهاء الجمهور بحلول مصطنعة ووعود كاذبة ، كلها تسير تحت شعار وحدة الصف القومي ووحدة كل الأمة أمام ما يتهددها من مخاطر .

الامة تمثلها طبقاتها الشعبية

ان أصحاب الامتيازات الاجتماعية من الاغنياء والمالكين والاقطاعيين والمتنفذين من وجوه الاسر والعشائر كل هؤلاء قلة في أمتنا بعيدون عن روحها ووحدتها وتطورها ، ولكنهم أعطوا أنفسهم حق تمثيلها فانحدرت الامة وتجزأت وضلت أحاق بها التأخر والاستعمار .

هذا صحيح ولكن الأمة بمجموع جهد أبنائها وبأعلى ما يصل اليه انتاجهم واخلاقهم وعبقريتهم . وقوميتنا العربية لتصبح قومية مفتوحة القلب لكل أبنائها لا بد ان تكون الجو الاجتماعي الذي يتمتع فيه كل انسان بحريته وكرامته والذي يفسح له كل المجالات لتفتح امكانيته عبقريته ليعطي كل ما عنده وأغلى ما عنده .

وأصحاب الامتيازات ارادوا تحريف هذه الحقيقة القومية ، فاضاعوها في فيض من العاطفية والعصبية والرجعية قيدتها وسجنتها وشتتوها قطعاً واشلاء وحولوها الى علاقات تجارية وارباح استثمارية ، فارتبطت مصالحهم بمصالح

الآخرين الغرباء أكثر من ارتباطها بمصالح أبناء شعبهم .

لم يكن لابن الشعب يوماً رابط بأجنبي ، والاستعمار لم يحمل له الا الاذلال فوق الاذلال والشقاء فوق الشقاء . ولكن أولئك الذين أضاع التهالك على المادة والربح كل شعور انساني وقومي سليم عندهم ، وجدوا روابط وثيقة من المصالح تربطهم بالاجنبي وشركاته وحتى بجيوش الاحتلال كما وجدوا في حكم الرجعية والتجزئة موئلاً لهذه المصالح ، ففقدوا هم أيضاً انسانيتهم واصبحوا عبيداً للمادة والربح والرفاه .

واذا كانت هذه الخطوط العريضة التي يمكن ان نجد في غضونها الكثير من الاستثناءات والحالات الخاصة ، هي التي ترسم صورة مجتمعنا الرجعي المتخلف الذي يسوده حكم مختلط من الاقطاعية والرأسمالية والعشائرية والرجعية فان الخروج منه الى المجتمع القومي الحر العادل ، لا يتم عن طريق عفوي أو بالتطور الطبيعي وبتقدم العلوم والتعليم. الخروج منه لا يتم بمجرد ان نجمع على أنه سيء وغير عادل ولا بأن نتخيل الحلول وصور المجتمع الانساني العادل فنضعها في حلول ونظريات . فأمام تكتل أصحاب المصالح وتكالبهم وتسخيرهم سلطة الدولة والنظام لحمايتهم ومصالحهم لا بد ان تتكتل جماهير الشعب ، من الكادحين والمظلومين من العمال والفلاحين ومن كل الواعين المناضلين الذين لا

يرتضون الحياة في مجتمع ظالم متخاذل لا بد ان تتكتل هذه الكثرة الكبيرة من أبناء شعبنا ، فلا سبيل لتبديل هـذا المجتمع الا بالنضال والانقلاب .

١٩٥٦